

الفنان رضا توبال

معروف في بلدان العالم ومجهول في بلده

- من مواليد 1934 - بينكول كوردستان تركيا
- درس الفن في ميونيخ و باريس
- من فناني الرعيل الاول في كردستان تركيا
- المعرض الاول في سنة 1956 في أنقرة
- المعرض الثاني في المكتبة العالمية في أنقرة سنة 1958
- المعرض الثالث والرابع في أنقرة سنة 1964-1966
- المعرض الخامس في غاليري روف في ميونخ بالمانيا سنة 1971
- أقام عشرات المعارض الفردية والجماعية بين سنتي 1956-2007
- ألف 30 كتابا فنيا وأديبا

◆ أعداد: فهمي بالايي

برلين



حياته الفنية:

بدأ رزّا توبال حياته الفنية سنة 1950 في قرية هورلمان التابعة لمدينة ديرسم وسط جبال كوردستان. كان عاشقاً للفن والجمال وجسدها في سن مبكرة في لوحاته. ومن هناك واصل توبال مسيرته الفنية لتحقيق حلمه الفني، ولم يعتمد على موهبته الفطرية فقط بل بدأ بقراءة الكثير من الكتب الفنية التي توفرت له والتي تضمنت معلومات عن الفن الأوربي الحديث والفن الانطباعي (أمبريسيونيزم).

أحب طبيعة كوردستان، وجمالية المشهد الطبيعي تلك تركت أثراً بالغاً على توبال ما دفعه للبحث عن سر الألوان وكيفية استخدامها لدى الفنانين الانطباعيين الفرنسيين. زار توبال باريس عدة مرات ليكتشف الألوان التي كان يبحث عنها

منذ طفولته في لوحات مونه و رة نوار و سيزان كما حمل معه ألوان الطبيعة وطنه ، وقد لفتت نظره الألوان البراقة لشروق الشمس على جبال ووديان ديرسم وبينكول و انعكاسها على سطح نهر (مونزر) ، كما استذكر أيام طفولته واحداثها ، حين كان يستمع للقصص الشعبية من جدته العجوز في الليالي الطويلة في قريته ببيوتها الطينية . ولذلك نجده ينتقل بين برودة شتاء منطقتة و برودة ألوانه الانطباعية. يهتم توبال في لوحاته بتجسيد المواضيع التاريخية و بطولات وملاحم العشق الكبرى في الشرق مثل (خه ج و سيامند، تاريخ مزبوتاميا، الفروسية ، المسيرة ، حياة الفلاحين و...الخ).

انطلاقته الفنية في أوروبا

بداية حياة توبال الفنية كانت شبيهة ببدايات





وطبعت له أكثر من أربع كاتلوكات فنية. تبلور أسلوبه الفني بعد اطلاعه على المدارس الأوروبية، وتأثر توبال طوال مسيرته الفنية في العقود الثلاثة التي عاشها في أوروبا، بالفنانين الأوروبيين وأسلوب الفن الأوروبي مما دفعه للإهتمام بالشكل أكثر من المضمون، لكن في السنوات الأخيرة ظهرت عناصر جديدة في لوحاته اعطته تميزاً أكبر، مما دفع بعض النقاد الأوروبيين الى كتابة المقالات الفنية حول أعماله، كالناقد الألماني (دوريد شميد) وآخرين . يستعمل توبال في لوحاته الألوان الفاتحة حتى في مواضيعه التراجيدية ربما لكي يبحث عن نافذة تحرر نفسه من السجن والاضطهاد القومي في تركيا ، وهو يحاول أن يبحث دائماً عما هو جديد ويجهد لإبتكار لغة بصرية وأسلوب فني جديد. يشعر توبال نفسه طيراً لكن ليس بإمكانه أن يطير إلى المكان الذي يريده ويحن إليه ، وكان يجد نفسه، رغم غربته عن بلده ورغم هذه الاحلام الأسيرة، في نفس المكان. كان يرى نفسه في مرآة مكسرة يحاول أن يوحد أجزائها لكي يكتب عنواناً جديداً لحياة جديدة لكل الإنسانية.

حلبجة والوطن البعيد

رسم توبال تراجيدية (حلبجة الشهيدة) : الأشجار الميتة، الإنسان واقفاً ميتاً، الأطفال و قد

أكثرية الفنانين الشرقيين عبر الاهتمام بالموضوع أكثر من الشكل لكي يرضي الجمهور ويقدم شيئاً ما عن الأحداث الواقعية. لكن مع استقراره في أوروبا ومشاهدة أعمال الفنانين الكبار أختفى الموتيف الشرقي بشكل عام و الموتيف الكوردي بشكل خاص لدى توبال، ليقترب من المدارس الفنية الحديثة واسلوب الفنانين الأوروبيين. كما أهتم بتنسيق وتباين وهارمونية اللون وأولى إهتماماً أكثر بتكوين اللوحة بما تتضمنه من عناصر فنية مهمة، بعد تأثره بالفنان التركي المشهور (بدري رحيم) خاصة لوحته الشهيرة (شمعة الليل). بعد استقراره في موطن كوته ، بتهوفن، مارك بيكمان و هيكل، دخل سلك التعليم وأصبح تدريسياً واستمر في مهنته تلك مدة ثلاثة عقود تقريباً، لكنه واصل عطاءه الفني الذي يمتد لأكثر من نصف قرن وحتى يومنا هذا.

في الفترة الأخيرة اهتم توبال برسم اللوحات بمقاسات كبيرة تتراوح أبعادها بين متر وثلاثة أمتار، ويركز توبال في أعماله الفنية على الألوان الزيتية بدرجة أكثر من غيرها. ورغم امكاناته المميزة التي شهدت عليها المتاحف الألمانية لكن الفنان الكردي الكبير ظل مجهولاً في كردستان وغير معروف حتى في أروقتها الفنية، رغم أن متاحف الألمانية الفنية ثمنت نتاجاته الفنية

غير موجودين في عالمنا هذا. من الهند يسافر توبال مع الوانه وحقيبتة المليئة بالمعانات الى الصين لكي يرسم المناظر الطبيعية ووجوه الفلاحين الصينيين ويضع من هناك مقارنات تشكيلية بين جبال زاكروس وجبال الصين. من الصين يسافر الى المغرب العربي ويبحث عن الالوان الشرقية، كما سافر الفنانون الأوروبيون الى الشرق كالفنان الفرنسي (هينري ماتيس) الذي كان يبحث مثل توبال عن سر اللون الشرقي وعناصر الفنون الشعبية الشرقية. يسافر توبال الى كل العالم لكي يرسم من كل وطن لوحة ومن كل تراث لون ومن كل حدث قصة .

يتبرع بأعماله لكرديستان

عاش توبال أكثر من 30 سنة في مرسمة يتحدث مع لوحاته بلغة اللون وتبقى اللوحة صديقاً وفيّاً له ، في كل زاوية من زوايا المرسم يرى الزائر اللون واللوحة كما يرى الكتب ومصادر الفن. يعيش توبال مع وحدته ليس لديه صديق أو عائلة .. فينظر من حوله ويتأمل نفسه بين الخيال والواقع ويتساءل : هل هذه يجب ان تكون حياة الفنان الذي ضحى بكل ما لديه من أجل أن يقدم الى شعبه المظلوم إسماً أو أن يقدم للعالم صورة انسانية تجسد حقيقة الحياة ؟!

قال لي الفنان رضا توبال بأنه قدم الى وطنه مجمل أعماله الفنية دون مقابل.

هكذا يتبرع هذا الفنان بكافة أعماله الى شعبه لكي يبقى في الذاكرة عبر اللوحات التي هي اعلى وأجمل هدية في أرشيف متحف كوردستان.

هذا هو الفنان المجهول الذي بحوزته أكثر من خمسة آلاف لوحة فنية والذي ألف 30 تاباً فنياً وأديباً، انه يرسم وحيداً دون ان يلتفت اليه أحد من ابناء شعبه وهو يعيش في برلين في مرسمة بعيداً عن أي انتماء سياسي وبعيداً عن حياته العائلية. وهو في 73 من عمره ينتظر توبال أن يجد مؤسسة كردية أو جهة رسمية لكي يتبرع لها بأعماله الفنية كهدية الى شعبه ووطنه كوردستان.

ماتوا في أحضان أمهاتهم. الحياة في هذه اللوحة مغطاة باللون الأسود . يدين توبال بلوحاته الحروب ويكره العداء والقتال بين الانسان والانسان . وهو يرى ان الحرب هي التي تكره

الانسان على الهجرة من أرضه وهي التي تبعده عن وطنه و أهله . يرى توبال نفسه كمهاجر في الغرب بعيداً عن الوطن والأهل، اجبرت الحروب شعبه على الصمت. لذلك يعتبر توبال أن لوحاته تمثل هوية شعبه .

بهذه اللغة البصرية يستطيع توبال أن يتكلم لغة الفن والانسانية لكي يثبت للعالم أن لوحاته تحمل اجمل معاني الحرية وتعكس الأحداث التي تقع يومياً في وطنه .

والمفارقة أن هذا الفنان الذي يقدم أجمل ما لديه للإنسانية ليس بإمكانه أن يسافر الى وطنه!!.. سافر توبال الى بلدان كثيرة ولكنه لم

يستطع السفر الى بلاده. من ألمانيا يسافر الى الهند لكي يرسم معاناة الناس الذين ينامون على الشوارع وينتظرون لقمة العيش ويبحثون عن غرفة عتيقة لكي يناموا فيها أولئك الذين يخلق بهم الخيال في عالم مجهول لكي يتعارفوا على اناس

